لقاء قناة المتحدة بالدكتور إبراهيم الجعفري
2010/2/17
(انتخابات البرلمان العراقي)

المقدم: أنتم من رجال السياسة الذين كان لهم دور كبير في العملية الديمقراطية بالعراق خلال السنوات الماضية، كيف ترى اليوم الحراك السياسي داخل الحكومة العراقية؟

الجعفري: أشعر أن الحراك السياسي يمضي باتجاه إيجابي من خلال المتابعة لسير العملية السياسية بعد سقوط النظام المقبور إلى الآن، وهي تتخطى مرحلة بعد أخرى نحو الأفضل، وإن كانت ببطء لكنها نحو الأفضل؛ لأن عملية بناء النظام السياسي البديل عن الدكتاتورية يحتاج إلى وقت، لكن هناك مواسم انتخابات تتكرر، وتسليم للسلطة بطريقة سلمية، وهناك المشاركة المتنوعة والنوعية، المتنوعة بعدد الهُويّات الوطنية العراقية التي تشترك في البرلمان أكثر من السابق، ومن الناحية النوعية هناك عناصر جيدة وكفوءة تتقدم في كل جولة انتخابية ليس فقط على مستوى البرلمان إنما على مستوى مجالس المحافظات، ولاتزال طموحاتنا أكبر، ونحن نعوّل على مواسم الانتخابات التي تفرز شخصيات صاعدة تشكّل قفزات نوعية للعراق على مدارج التكامل، لكن على العموم المشاركة السياسية، والتعاطي السياسي والثقافة السياسية أحسن من السابق، وظهور المرأة أيضاً في مجلس النواب ومجالس المحافظات يُضفي على الأداء السياسي بُعداً إنسانياً متوازناً.

المقدم: كيف ترون الديمقراطية في العراق، وما هو المطلوب منكم كقادة للعراق؟

الجعفري: الديمقراطية لا يمكن اختزالها فقط في عملية انتخابات، وإن كانت الانتخابات من لوازم الديمقراطية وضروراتها، فلا ديمقراطية بدون انتخابات، لكن الانتخابات لوحدها لا تعني شيئاً، إنما يجب أن تسبقها ثقافة، وهي ثقافة الناخب، فلا يكفي أن يُرمى الصوت في صندوق الاقتراع، فتكون هذه الممارسة حضوراً كمياً، لا نوع فيه، وخالٍ من الوعي، وكذا المرشح يجب أن يكون لديه وعي لما يتصدى، وينبري له بالترشيح وهو على وعي بالمسؤولية المترتبة على ذلك، يقول ابراهام لنكولن الرئيس الاميركي السادس عشر: (الديمقراطية من الشعب وإلى الشعب وبواسطة الشعب)، فهذا الجانب الإنساني من الديمقرايطة نريد أن نحافظ عليه، ونثقف عليه، فالديمقراطية تحتاج تثقيفاً، ويُراد لها ممارسة.

المقدم: بعض المرشحين يعوّل على محافظته أو على طائفته أو عشيرته في حين أن المطلوب منه أن يحسب حساب كل المحافظات؛ لأنه قد يكون رئيس وزراء بعد ذلك، أليس هذا الموضوع يقتل الطائفية المقيتة التي نعاني منها.. كيف تنظر إلى هذا؟

الجعفري: طبعاً الشقّ الثاني من سؤالك يُجيب عن الشقّ الأول.. المفروض بالمرشح أن لا ينسى، ولا يغيب عنه الحجم الوطني؛ لأنه إذا رهن نفسه برصيده القبلي أو الطائفي أو مجال اختصاصه فإنه يضع العراق على أعتاب مرحلة جديدة وتجزئة على حساب الحالة الوطنية.
الوظيفة العامة تعلو على كل الانتسابات، أنا أعتقد أننا بخير، وهذا شيء طبيعي، لا غضاضة فيه، نريد أن تكون حركة كل مرشح في كل محافظة وفي كل قضاء جزءاً من مجمل حركة العملية الانتخابية في عموم العراق بحيث لا يحلو له اسم بدلاً من اسم الوطنية العراقية.. وهذا التفكير يترك بصمات وطنية على العملية السياسية كلها، فلا ينبغي أن نجزّئ العراق في ذلك الموقع.

المقدم: نحن الآن في ظرف مدّ وجزر والمساءلة والعدالة والهيئة التمييزية ما رأيكم بكل ما يحدث؟

الجعفري: كنت أتصور أن نتجنب هذه القضية بسياقها القانوني، ولا نخلط الملفات بين الجانب القانوني والجانب السياسي، ولا نسيّس هذا الشيء، وكان المفروض أن نتعامل مع هذا الملف بشكل حرفي، ونجعله جزءاً من الوضع القانوني، لكن ما حصل هو التشكيك، ومادامت القضية قانونية فإننا يجب أن نعطي لكل متهم حقه بالدفاع عن نفسه، ونناشد المواطنين الذين يعرفون شيئاً عن المتهمين أن يُدلوا بشهاداتهم إدانةً أو تزكيةً، فالجميع يتحمّلون المسؤولية وعندما تثار ملاحظات على أي شخص ليس وقتاً مفتعلاً، وليس تربصّاً إنما هو موسم انتخابات تُدقّ فيه مستلزمات الترشيح، فجاءت في وقتها المحدد خصوصاً أنها أثيرت في وقت ليس قصيراً، فيجب أن تأخذ الوقت الكافي حتى تكون هناك تزكية ومدى أهليته للترشيح للانتخابات.
وعندما يكون هناك قرار سلبي فإننا نناقش القضية بطريقة قانونية، وعندما دخلت في تعقيدات وتهديدات فأنا أعتقد أنها نحت منحى غير بنّاء وغير صحيح، وهذه سابقة ليس سليمة، ويجب أن نحمي القانون، ونتقوى به، لكنّ ذلك لا يعني أن الجهات المطبّقة للقانون منزّهة من الخطأ، فإذا ارتكبت خطأ عن عمد نحاسبها وإذا كان عن غير عمد نصوّبها، ونسدّدها.

المقدم: كيف ترون زيارة بايدن والممثل العام للأمم المتحدة واجتماعهم بالرئاسات الأربع، هل هناك ضغط على الحكومة أم هو لتقديم المشورة.

الجعفري: لم أكن مشتركاً في الاجتماعات الخاصة التي ضمت بعض الشخصيات العراقية، ولا أتحدث من موقع المرئي إنما أتحدث من موقع المسموع، ما سمعته من وكالات الأنباء، والمرئي الذي انعكس في التلفزيون فأنا أستغرب أن تساق بعض الانطباعات، وتتحول إلى حالة أقرب إلى التوجيه لبلد يعيش حالة ديمقراطية جديدة وفيه نضج سياسي وقادة سياسيون بهذه الطريقة.
الإنسان القوي والبلد القوي لا يُعدم على نفسه أخذ الملاحظات لكن الملاحظة شيء وإدلاء التصريحات بنحو كأنه تدخّل شيء آخر وهذا أعتبره غير صحيح بل غير مسموح به.. من الثوابت بالنسبة إليّ التي كنت ألتزمها في أي بلد عشت فيه منذ مرحلة المعارضة هو أن لا أتدخل في شأن ذلك البلد فأمره متروك لمواطنيه خصوصاً عندما يعيش حالة ديمقراطية.. أنا استغربت لبعض التصريحات التي تقول بأن تتأجّل مسألة الشروط إلى مرحلة لاحقة، وبعد ذلك ننظر فيها، وتلك التصريحات صدرت عن أناس يعيشون في بلد ديمقراطي وديمقراطية تمتد إلى مئات السنين، أتذكر عام 2005 اتصل بي كوفي عنان سكرتير عام الأمم المتحدة، وقال: لك حق في أن تؤجل الانتخابات ستة أشهر من منتصف 2005 إلى 2006، قلت له: لا. أنا لا أؤجّل الانتخابات، وأريد الالتزام بوقتها المحدد، وبالفعل التزمنا، وأبديت استيائي له، وهو كان قد صرح بأن الانتخابات ستعتمد على الوضع الأمني، فأوصل رسالة خاطئة، وأنا أوصلت له خبراً بالطريقة التي رأيتها مناسبة، فسحب تصريحه في هذه القضية، وقال: هذه القضية متروكة للعراقيين يبدو أن الأوضاع مشجّعة... إلى آخره، فالأمم المتحدة أو أي دولة أخرى إذا أرادت أن توصل ملاحظة فنحن لا نضيق ذرعاً بأخذها، وأخذ الملاحظة دليل الثقة بالنفس، لكن لا تتحول الملاحظة إلى خرق سياسي وتدخّل، هذا غير مسموح به، وشعبنا شعب حي له رموزه وله شخصياته، نعم نحن نستفيد من الندوات ومن الصحافة ومن القادة السياسيين، ونسمع خطبهم وهم منفتحون على العالم مهما كانت جغرافيته، ونرحل أفقياً إلى أي بلد في العالم يتقدم علينا بالتجربة ونستفيد منه، من موقع قوتنا وثقتنا بنفسنا.
أنا أستغرب أن أحداً يرسل كلامه إرسال الأوامر، فنحن لا نعيش عصر المندوبين السامين، ولا نعيش عصر الاستعمار، وأرجو أن تعي الإدارات الغربية مسؤوليتها الإنسانية عندما تتحدث في الديمقراطية، ويجب أن تعرف أن الديمقراطية كل لا يتجزأ، وأنها لا تتأقلم، وإنما هي قدر إنساني، والإنسان يُعرَف بديمقراطيته عندما لا يفرّق بين إنسان وآخر، فأنا لست مع هذا التدخل، وأشجبه، وأرفضه، لكن من يتعامل بطريقة يجب أن يبرهن أنه صديق ولغة الصديق ليس فيها إملاءات، أو أي شيء يتحول إلى تدخّل.

المقدم: إلى متى يبقى التوافق السياسي، فنحن في الميزانية أخذنا وقتاً لأنها جرت عليه توافقات، وقانون السلوك الانتخابي وقوانين تم تعطيلها إلى الدورة البرلمانية اللاحقة بسبب عدم التوافق السياسي، أليست مصلحة المواطن أكبر من المصلحة الحزبية؟

الجعفري: المحاصصة والتوافق قد يتختزنان في داخلهما لغماً، أعتقد أن العمل بهما ضعف في الوعي الوطني، فلماذا الكردي وحده مسؤول عن الكرد، والشيعي مسؤول عن الشيعة والسني مسؤول عن السنة والآشوري مسؤول عن الآشوريين؟!! في العمل السياسي يجب أن يكون السياسيون قدراً للدولة لا يكونون قدراً في الدولة، أعني أن كل من يشغل موقعاً عليه أن يتسع إلى حجم الدولة العراقية وحجم كل المواطنين، من دون تجزئة.. فالمحاصصة والتوافق قد يبدو أن لهما بريقاً إيجابياً لكن عملياً - للأسف الشديد - أصبحا على حساب الانتماء الوطني والوطنية العراقية في وقت نحتاج لأن نعمّق الجانب الوطني، ونبني البنية التحتية على ثقافة وطنية، ونقدّم الكفوء والمُضحّي، والدؤوب والمُبدع، لكني أعتقد أن هذه قضية مرحلية والزمن كفيل بإزالتها.

المقدم: ألا توافقني الرأي بأن الفقر والبطالة ونقص الخدمات تجعلنا نذهب إلى الإرهاب، أو بعض الناس الذين يفقدون الخلفية الثقافية أو الحس الوطني تسلبهم يد الإرهاب ويكونون جزءاً من الإرهاب من دون أن يكون لهم فكر؟

الجعفري: علاقة الفقر بالإرهاب صحيحة ومحترمة، وقد سبق أن قال الإمام علي (عليه السلام) قبل 1400 سنة:
(لو كان الفقر رجلاً لقتلته)
و
(كاد الفقر أن يكون كفراً)
حين يكون الإنسان فقيراً ستتحول حياته إلى شيء مُظلم أمامه، فتتلاقفه أيدي السوء، وتنمو عندئذ النعرات الطائفية، وتنمو الكثير من عوامل الشر في مثل هذا الوسط، فعندما نفتح أبواب الاستثمار، ونجعل الإنسان يعيش حياة كريمة بثقافة مكملة تجعله يحس بوطنيته ومواطنيته سيرفض تجار الإرهاب الذين يسوقونه إلى دهاليز إرهابية، ويدخلونه في صناعة التفخيخ وما شاكل ذلك.
ليس فقر المال وحده دفع البعض إلى الارتماء في أعشاش الإرهاب إنما هناك فقر آخر وهو فقر الأخلاق والتربية وإلا بماذا نسمّي من يقتل الأبرياء بمبلغ مائة دولار أو مائتي دولار.

يجب أن نضع في ثقافتنا الحقيقية خصوصاً أننا ننتمي إلى بلد متعدد الثروات، ولا ينبغي لنا أن نسكت على الفقر، ويجب أن نحوّل هذه الثروات من ثروات البلد والأرض إلى ثروات المواطن والشعب الذي يسكن هذه الأرض.
أعتقد أن عدّاد التحرك - الحمد لله – بدأ، لكن المطلوب هو أن نسرّع، ونشيع ثقافة مفادها: أن التنوع مدعاة للتكامل وليس للتضارب، ولتتظافر كل الجهود الوطنية المخلصة وتتعاون في حمل هذه المسؤولية.

المقدم: كيف تقيّمون عمل البرلمان خلال الأربع سنوات؟

الجعفري: أعتقد أن مجلس النواب كانت فيه عناصر ضعف كثيرة، يعود بعضها إلى طريقة تشكيله ابتداءً بسبب نظام القوائم المغلقة وعقلية المحاصصة التي أدّت إلى حالة الهيمنة المشخصنة والهيمنة الحزبية، ولم يكن لدى عضو مجلس النواب امتداد يتسع لكل العراقيين، ولا يستحضر أن حزبه وقائمته في خدمة هذا الشعب.. في الأربع سنوات كان مجلس النواب مختزلاً بمجموعة شخصيات على الرغم من وجود شخصيات رائعة متنوعة بقوميات متعددة بمذاهب متعددة وقوى سياسية متعددة وكيانات متعددة.
آمل أن يأتي مجلس النواب القادم بروحية عالية وثقافة جديدة اكتسبها من التجربة السابقة، وأتمنى على الأعضاء الجدد أن يستفيدوا من تجارب الذين سبقوهم؛ حتى نستطيع أن نصنع بيتاً عراقياً وطنياً اسمه البرلمان.

المقدم: هل ترى جولة التراخيص العراقية الأولى والثانية تغيّر من واقع المواطن، أو تعكس القيم المادية التي ستنعكس على حالة المواطن؟

الجعفري: فيها إنجاز، وحدثت فائدة منها لكن أيضاً عليها ملاحظات وتحفظات من قوى وطنية مختلفة، وهي محترمة إلى أن يصدر قانون نفطي بشكل كافٍ، ويغطي المجالات المختلفة، لكن على العموم استمعنا إلى الكثير من الملاحظات والتحفظات التي جاءت من داخل العراق وحتى من خارجه.

المقدم: هل هذه التراخيص دستورية من حيث الجانب القانوني؟

الجعفري: ليس من الممكن تطبيق القانون بشكل حرفي ورياضي حتى في القانون يوجد تفاوت في الفهم، ويمكن اعتباره ضمن تحرّكه في المساحة القانونية الصحيحة والمساحة الترخيصية على الأقل إن لم يكن قانونياً فهو غير مناقض له، وتوجد ثلاث مساحات: مساحة قانونية، ومساحة غير قانونية، وتوجد مساحة مرنة لا تتعارض مع القانون والدستور، ونحن طبعاً نتمنى أن تسير كل مؤسسات الدولة بشكل قانوني؛ حتى نقول: إن العراق دولة قانون، وليس فقط حكومة قانون.

المقدم: كيف تقيّمون علاقة العراق مع الدول العربية، خصوصاً دول الجوار، وما المطلوب الآن كي ننهض، ونصلح ما فاتنا؟

الجعفري: نحن نعتبر العلاقات مع دول الجوار من الثوابت التي لا تتغير، فمثلاً حين نتعامل مع كوريا نتمنى أن تربطنا علاقة جيدة معها، ونستثمرها لكن لسبب أو آخر إذا مسّت السيادة، أو تدخلت، أو ثبت أن هناك صفقات فاسدة قد تصل إلى حد نقطع العلاقات بيننا وبينها، لا أتمناه لكني أتحمّله، إلا أنه يصعب تحمُّل دولة من الجوار الجغرافي كالدول الست التي تحيطنا، ونقطع علاقتنا معها، هذا ليس سهلاً، فيجب أن نـُظهر مرونة أكثر في سبيل مواصلة العلاقة معهم، لماذا؟ لأننا نراعي الحقيقة الجغرافية والحقيقة التاريخية والحقيقة الحيوية في المصالح.
وإذا كان هناك أزمات أو تقصير فنحن نتحرك تجاهها من زاويتين، معالجة التقصير، والحفاظ على أصل العلاقة، فأصل العلاقة يجب أن نمسك به؛ حتى لا يقع من بين أيدينا وفي الوقت نفسه نضغط، ونحاور، ونتبادل المصالح.
العلاقة الثنائية القطب العراق – تركيا، العراق – إيران، العراق – الكويت، العراق – سورية، العراق – السعودية، العراق – الأردن، يجب أن نبحث من خلالها كيف نحرّك مصالحنا، ماذا يريدون، وماذا نريد، وكيف نتجنب المخاطر المشتركة، من ماذا يخافون، ومن ماذا نخاف؟ وفي الوقت نفسه لا يكفي أن ننظر إنما يجب أن نعتمد على برامج عمل على الأرض، ونعتمد على شخصيات مقبولة عند الآخر.

المقدم: العراق وقّع اتفاقيات مع تركيا قبل أشهر، وعقد بعض الاتفاقيات، لم نلاحظ أي شيء انعكس على العراق من خلال هذه الاتفاقيات لحد الآن فنحن مطالبون بفيزا حتى ندخل تركيا وسورية، وهناك دول عربية لا تستقبل العراقي أصلاً، أي إنها اتفاقيات على الورق أو المستفيد منها هو الجانب الآخر وليس العراق؟

الجعفري: ما لم يتحقق اليوم لا يعني أنه لا يمكن أن يتحقق غداً، فكلما ارتقت العلاقة السياسية إلى آفاق أعلى وأوسع تحققت الأهداف أكثر وأكثر، فعدم تحقّق بعض الأهداف لا يعني أن نغضّ الطرف عمّا تحقق من أهداف، وإن لم تكن بالحجم الذي نريده؛ لذا يجب أن نراعي مصالحنا إضافة إلى المبادئ ومراعاة الجانب الإنساني.

المقدم: دكتور في ختام حديثنا لدينا بعض المصطلحات نود أن نأخذ منك إجابات قصيرة عنها، ماذا يعني لك الأمن والاستقرار؟

الجعفري: الأمن طبعاً غير الاستقرار، فالأمن يعني أن تشعر أنك غير مُروَّع وغير مُفزَع في بيتك وفي عملك وفي المجال الذي تتحرك فيه، أما الاستقرار سواء كان اقتصادياً أو سياسياً أنك لست قلقاً من أنه قد يتبدل.

المقدم: التوافق السياسي؟

الجعفري: التوافق السياسي من وجهة نظري مبني على قاعدة وعي المشتركات السياسية التي تصبّ في الصالح الوطني من دون تمذهب أو تعسكر أو تجوسس أو تحوزب.

المقدم: حرية الإعلام؟

الجعفري: حرية الإعلام، أن يتكلم الإعلامي بما له أن يتكلم بملء فمه، ويقول لأكبر مسؤول في الدولة عندما يخطئ: إنك أخطأت، ويجب أن يُصان وما عليه، ويجب أن يتمتع بالأخلاقية التي نتوسم بأبنائنا وبناتنا في الحقل الإعلامي بأن لا يقول الكلمة جزافاً أو من وحي الأحمر الرنان، إنما يقول الكلمة من موقع إيمانه بها حتى إذا أخطأ.

المقدم: الانسحاب الأميركي؟

الجعفري: أعتبره حلماً بالنسبة لي، ولا أتمنى أن تبقى دولة محتلة في العالم، حتى عندما أقرأ تجربة أميركا حين كانت محتلة من بريطانيا كنت أتأسف على تلك الفترة، فمثل ما أتمنى للبرازيل ولفرنسا عندما تعرضتا للاحتلال، لا أتمنى أن يكون هذا الشيء موجوداً.

المقدم: وحدة العراق؟

الجعفري: وحدة العراق أعتبرها حلماً؛ لأن كل الشعب العراقي موحّد، ومادام موحّداً على الرغم من تنوعه فإن لديه مشتركات وطنية ومن الطبيعي أن يسقط هذه التوحّد الاجتماعي على العراق كوطن لم يفرّق بين المواطنين لا بهوائه ولا بمائه ولا بثروته النفطية ولا ببقية الثروات؛ لذلك يجب أن يتوحد العراق الشعب العراقي على هذا الوطن وثرواته.